الباب الثالث

ذكر ما وجد فى الكتب المتقدمة من البشارات بالنبى صلى الله عليه وعلى آله [1]

---

١ - يقول تعالى فى شأن أهل الكتاب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].
ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]
وقد أشارت إليه السنة فى حديث عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة، قال:أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾، وحرزا للأميين (أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل،ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعيناً عميا وآذاناً صُمًّا وقلوبا غلفا بأن يقولوا: " لا إله إلا الله ".

هذه فصول يعرفها أهل الكتاب فى كتبهم. وليسوا ينكرونها وقد جاريت فيها منهم من كان يرجع إلى حفظ كثير وضبطها، وغير أنهم يتأولونها تأويلات فاسدة.

فمن ذلك ما وجد فى التوراة، وقيل هو فى السفر " الأخير[1] فى الفصل الثالث والثلاثين ": جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبل فاران "[2]

فقوله: " جاء الله من سيناء "[3] أراد ابتعاثه موسى – صلى الله عليه – من قبل طور سيناء، وقوله: " وأشرق من ساعير "[4] أراد ابتعاثه المسيح – صلى الله عليه – وساعير: الناحية التى كان فيها عيسى – صلى الله عليه – وقوله " واستعلن من

---

١ – المقصود سفر التثنية، وهو يشمل الوصايا العشر والكثير من الوصايا التى وضعها الله للشعب اليهودى، ثم عن كلمة الوداع التى قالها موسى – عليه السلام – قبل رحيله وتكليف يشوع بقيادة الشعب اليهودى بعد موت موسى.

٢ – ١وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ الله، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، ٢فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. ٣فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ. ٤بِنَامُوسٍ أَوْصَانَا مُوسَى مِيرَاثًا لِجَمَاعَةِ يَعْقُوبَ. ٥وَكَانَ فِي يَشُورُونَ مَلِكًا حِينَ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الشَّعْبِ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ مَعًا. ٦لِيَحْيَ رَأُوبَيْنُ وَلاَ يَمُتْ، وَلاَ يَكُنْ رِجَالُهُ قَلِيلِينَ». (أنظر سفر التثنية، الإصحاح ٣٣: ١-٦).

٣ – سيناء هى المكان الأول وتشير إلى المكان الذى فيه موسى، ودليل ذلك: " ١٦وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ. ١٧وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٨وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً " (خروج ٢٤: ١٦-١٨).

٤ – سعير هى المكان الثانى وهى تعنى أرض فلسطين التى سكنها عيسو أخو يعقوب، ودليل ذلك: ٨ فَسَكَنَ عِيسُو فِي جَبَلِ سَعِيرَ. وَعِيسُو هُوَ أَدُومُ " (تكوين ٣٦: ٨).

جبل فاران "[1] أراد به ابتعاثه محمدا – صلى الله عليه وعلى آله – من جبال مكة ؛ لأن جبال مكة تسمى فى التوراة " جبل فاران " لا ينكر ذلك أحد ممن عرف التوراة. [2]

وفى التوراة: أن إبراهيم – صلى الله عليه – أسكن هاجر[3] وإسماعيل – صلى الله عليه – فاران يعنى: مكة، ولم يبعث أحد من الأنبياء ابتعاثا ظاهرا، فشا أمره فى مشارق الأرض ومغاربها، كما اقتضى قوله: " استعلن " لأن " استعلن " هو بمعنى:

---

١ – فاران إشارة إلى إسماعيل عليه السلام والنبى الذى يأتى من نسله. حيث يقول الله عن إسماعيل: " ٢١وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ". (أنظر سفر التكوين، الإصحاح ٢١: ١٧-٢١).

٢ – فى النسخ الحديثة من الكتاب المقدس (جاء الرب) وليس (جاء الله)، والرب كلمة معربة عن العبرية تعنى السيد والمعلم. ومن النص السابق يتضح أن موسى عليه السلام قسم البركة قبل موته على: (سيناء.... جاء)، (ساعير.... أشرق)، (فاران.... تلألأ). فعندما يقول: جاء الرب، أى ظهور ملاك الرب على نبيه وتلقينه كلام الله. وعندما يقول: أشرق، المراد تجلية الشريعة وتوضيحها. وفى هذا المعنى يقول المسيح نفسه "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل" (متى ٥: ١٧).
وعندما يقول: تلألأ، المراد قمة البيان والهيمنة.
وعلى ذلك يكون معنى النص: " إن الله تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بسعير وهى من أرض الجبل المقدس، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبى قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها " (أنظر عقيدة المؤمن: أبو بكر جابر الجزائرى، ص ٣٠٦ بتصرف). وقد شبه الله سبحانه وتعالى نبوة موسى بمجيء الصباح ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الأفاق ووقع الأمر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه وتعالى صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم.
وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (التين: ١-٣).
فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها "والتين والزيتون" والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح.
"وطور سنين" الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته.
"وهذا البلد الأمين" مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود: " فاران " هى أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم تقل، وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم. (أنظر هداية الحيارى: ابن القيم، ص ١١٩).

٣ – أم الذبيح إسماعيل عليه السلام وزوجة إبراهيم عليه السلام.

علن. إذا ظهر وانكشف (ولم يستعلن) غير محمد – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فلم يبق ريب فى أنه هو المراد بهذه اللفظة.

وفى التوراة: أن هاجر تراءى لها ملاك، وقال: " يا هاجر أنى سأكثر ذريتك، وزرعك حتى لا يحصوا كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه إسماعيل ؛ لأن الله عز وجل قد سمع خشوعك، وتكون يده فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ".[1]

وقد علمنا أن المراد بهذه: ولد إسماعيل، وهو رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – لأن إسماعيل نفسه لم تكن يده فوق يد إسحاق، ولا يد ولديه يعقوب – صلى الله عليه – وعيسى، مبسوطة إليه بالخضوع ولم يكن فى ولد إسماعيل من كانت أيدى أولاد إسرائيل، وعيسو وسائر الناس مبسوطة إليه، غير رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله ".

إنه هو الذى دانت له الملوك من آل إبراهيم – صلى الله عليه- وغيرهم، وخشعت له رقابهم، وخضعت له الأمم، وصارت الإمامة والملك فى أهله، وصارت أيديهم فوق أيدى الجميع،وأيدى الجميع مبسوطة إليهم، كما وعدت هاجر، فوضح أنه بشارة رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله.

وفى فصل من كتاب أشعياء النبى – صلى الله عليه –" لتفرح أرض البادية العطشى، ولتبتهج البرارى والفلوات، ولتنزه لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمال حسن الدساكر والرياض "[2]

---

١ - ١٠وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». ١١وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. ١٢وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ». (أنظر سفر التكوين، الإصحاح ١٦: ١٠-١٢).

٢ - ١تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ. ٢يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِجُ ابْتِهَاجًا وَيُرَنِّمُ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلَ وَشَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلهِنَا. ٣شَدِّدُوا الأَيَادِي الْمُسْتَرْخِيَةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا. ٤قُولُوا لِخَائِفِي الْقُلُوبِ: «تَشَدَّدُوا لاَ تَخَافُوا. هُوَذَا إِلهُكُمُ. الانْتِقَامُ يَأْتِي. جِزَاءُ اللهِ. هُوَ يَأْتِي وَيُخَلِّصُكُمْ».

ومن المعلوم: أن البادية لم يحصل لها ولفلواتها المحاسن إلا بالإسلام والمسلمين، فبان أنه بشارة بالنبى – صلى الله عليه وعلى آله – وإن كان فى أهل الكتاب من ينكر الاسم على عادتهم فى التحريف.[1]

---

١ - من تنبؤات أشعياء قوله فى الإصحاح الثانى والأربعون: «هُوَذَا عَبْدِى الَّذِى أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِى الَّذِى سُرَّتْ بِهِ نَفْسِى. وَضَعْتُ رُوحِى عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. ٢لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِى الشَّارِعِ صَوْتَهُ. ٣قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. ٤لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِى الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ». الفقرة السابقة من سفر أشعياء تتحدث عن نبى اشتهر بأنه عبد الله ورسوله، وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، إن الأوصاف التى حددها أشعياء النبى لا تنطبق إلا على النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وأكدتها الآيات السابقة من القرآن الكريم. وبالجملة فإن سفر أشعياء يتحدث عن وصف نبى الإسلام وقومه وحالهم قبل مجيئه ثمّ حالهم بعد مجيئه. ويمكن تقسيم السفر إلى فقرات ثمّ تجمع لتعطى معنى متكاملاً كالأتى:

٦«أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ، ٧لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْى، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِى الظُّلْمَةِ. (أنظر سفر أشعياء، الإصحاح ٤٢: ٦-٧). وهذه الفقرة تبين أن الله يعصمه من الناس حتى يكمل رسالته أى أنه لن يموت ولن يقتل حتى يكتمل الدين، وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة: ٦٧]، والفقرة السابقة لا يمكن تطبيقها على المسيح ؛ لأن الأناجيل تحدثنا أنه كَلّ وانكسر سريعاً إذ أنها تزعم أنه قتل بعد فترة وجيزة من بدء دعوته. وبالرجوع للفقرة السابقة نجدها تقول: " ٧لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْى، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِى الظُّلْمَةِ. ". وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وفى نفس السفر نجد " ١١لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِى سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. ١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِى الْجَزَائِرِ. ١٣الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. " (أشعياء ٤٢: ١١-١٣). وهذه الفقرة تبين أن النبى الآتى من نسل إسماعيل بن إبراهيم " الديار التى سكنها قيدار " وقيدار هو الإبن الثانى لإسماعيل " ١٢وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِى وَلَدَتْهُ هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَةُ سَارَةَ لإِبْرَاهِيمَ. ١٣وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِى إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ،.....الخ" (التكوين ٢٥: ١٢-١٣). وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه: نبايوت وقيدار. "سالع" السلع هو الشق فى الجبل ونحوه، ولعل

المراد بالشق فى الجبل "سنيات الوداع". فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طلع البدر علينا — من سنيات الوداع
وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع

والنص السابق به " الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته" إن الله وعد أن ينصر رسله، وفى التوراة والإنجيل قرائن تؤكد هذه الحقيقة. وفى القرآن قرائن تؤكد نصر الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٧]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

إن الفقرة السابقة تبين أن فى دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير ومؤتمر عالمى يعقد سنوياً. والإسلام هو الدين الوحيد الذى يحدث فيه هذا إذ يجتمع كل الحجيج من ملوك وشعوب ومن مختلف البيئات والأعمار، لا يجتمعون فى القصور وإنما فى رؤوس الجبال. إن هذه الفقرة تقول: "من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً ويخبرون بتسبيحه فى الجزائر". إن هذا ما يحدث فى الإسلام فقط وذلك فى ركنه الخامس وهو الحج. لقد تنبأ أشعياء عن الكعبة المشرفة بأنها منارة الهدى تتوهج بنور التوحيد فتبدد الظلام الذى خيم على الأرض، ظلام الجهل والشرك، فقال: «قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. ٢لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. ٣فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. (أشعياء ٦٠: ١-٣). وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم فقال: ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]، ويخبرنا السفر بأنه " شَعْبٌ مَنْهُوبٌ وَمَسْلُوبٌ. قَدِ اصْطِيدَ فِي الْحُفَرِ كُلُّهُ، وَفِي بُيُوتِ الْحُبُوسِ اخْتَبَأُوا. صَارُوا نَهْبًا وَلاَ مُنْقِذَ، وَسَلَبًا وَلَيْسَ مَنْ يَقُولُ: «رُدَّا!». " (أشعياء ٤٢: ٢٢). وهذه الفقرة تبين أن الشعب الذى ظهر فيه هذا النبى كان ضعيفاً جداً وكان طعمة لكل آكل. لقد كان معروفاً حال العرب قبل الإسلام فقد كانت الحدود الشمالية الشرقية نهباً للفرس، ولكن بعد أن جاءهم هذا النبى وظهر فيهم هذا الدين تحول العمى إلى مبصرين والمرضى إلى أصحاء، فانطلقوا فى العالم. راجع الفقرة مرة أخرى " لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة " (أشعياء ٤٢: ٧). وأيضاً " ١٦وَأَسِيرُ الْعُمْيِ فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أَمْشِيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. " (أشعياء ٤٢: ١٦). وبعد ذلك يختتم السفر نبؤته بأنه نبى البر يعظم شريعة الله ويكرمها وهذا ما عرف عن محمد - صلى الله على وسلم - الذى شمل بره الحيوانات والضعفاء من الأطفال واليتامى والنساء والأرامل. لقد كان يحترم النفس البشرية مهما كانت. وإليك النص: " ٢١الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا. ٢٢ وَلكِنَّهُ شَعْبٌ مَنْهُوبٌ وَمَسْلُوبٌ....الخ". وقد يقول قائل: إن هذه النبوة جاءت فى نبى آخر غير محمد، نقول له بيننا وبينك الإنجيل. لقد ظهر فى بنى إسرائيل أنبياء كثيرون بعد أشعياء وتتابعوا

حتى جاء المسيح. فنجد أن إنجيل متّى حاول تحقيق هذه النبؤة فى المسيح فهو يقول: «هُوَذَا فَتَاىَ الَّذِى اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِى الَّذِى سُرَّتْ بِهِ نَفْسِى. أَضَعُ رُوحِى عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. ١٩لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِى الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. ٢٠قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ. ٢١وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ» (إنجيل متى ١٢: ٢١). يلاحظ أن الكاتب حرف الكلم من بعد مواضعه فوضع كلمة "فتاي"بدلاً من "عبدي" ونحن كمسلمين نقول لهذا القائل ومن على شاكلته بوركت لكم هذه النبؤة التى تعتقدون أنها تختص بالمسيح بشرط أن تأخذوها جميعاً كما جاءت بسفر أشعياء. فهى تقول: (هوذا عبدى الذى أعضده. مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم). فإذا آمنتم بأن المسيح هو حقاً عبد الله ورسوله وأنَّ الله أيَّده بالروح فنحن كمسلمين نوافقكم على ذلك. ولكن الحقيقة تقول أن بقيَّة نبؤة أشعياء فى (الإصحاح ٤٢) لا يمكن تطبيقها على المسيح بأى حال من الأحوال فما كان الشعب اليهودى الذى ظهر فيه المسيح شعباً وثنياً وما كان المسيح رجل حرب...الخ، وفى إصحاح آخر عند أشعياء يقول: " ٣صَوْتُ صَارِخٍ فِى الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِى الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلهِنَا. ٤كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيمًا، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً. ٥فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (أشعياء ٤٠: ٣-٥). فكلمة القفر تكتب فى العبرية (ع ر ف ت) مع وجود علامة الفتحة الطويلة تحت حرف الفاء، فتنطق: عرفات. وأيضاً يقول أشعياء: " ١١وَحْى مِنْ جِهَةِ دُومَةَ: صَرَخَ إِلَىَّ صَارِخٌ مِنْ سَعِيرَ: «يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟» ١٢قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضًا لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا» ١٣وَحْى مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِى الْوَعْرِ فِى بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. ١٤هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. ١٥فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ "[٦](أشعياء ٢١: ١١-١٥). وعنوان الفقرة فى الإنجليزية هو: Oracles about Edom and Arabia وينبغى أن نفرق بين معان الكلمات الآتية:

Arabia وهى تعنى أرض شبه الجزيرة العربية، أما كلمة Arabs فهى تعنى العرب كجنس بشرى، وكلمة Arabians إنما تعنى السكان العرب المقيمون بشبه جزيرة العرب. وبالرجوع للنص السابق، فإن (دومة) هى المنطقة التى سكنها دومة ابن إسماعيل وذريته من بعده. وبالتالى يكون معنى النص الإنجليزى السابق: وحى من جهة دومة ومن جهة الجزيرة العربية. وأخيرا يقول أشعياء: " ١تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ. ٢يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِجُ ابْتِهَاجًا وَيُرَنِّمُ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلَ وَشَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلهِنَا. ٣شَدِّدُوا الأَيَادِى الْمُسْتَرْخِيَةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا. ٤قُولُوا لِخَائِفِى الْقُلُوبِ: «تَشَدَّدُوا لاَ تَخَافُوا. هُوَذَا إِلهُكُمُ. الانْتِقَامُ يَأْتِى. جَزَاءُ الله. هُوَ يَأْتِى وَيُخَلِّصُكُمْ» ٥حِينَئِذٍ تَتَفَقَّعُ عُيُونُ الْعُمْى، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. ٦حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَجَرَتْ فِى الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِى الْقَفْرِ. ٧وَيَصِيرُ السَّرَابُ أَجَمًا، وَالْمَعْطَشَةُ يَنَابِيعَ مَاءٍ. فِى مَسْكِنِ الذِّئَابِ، فِى مَرْبِضِهَا دَارٌ لِلْقَصَبِ وَالْبَرْدِى. ٨وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا: «الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ». لاَ يَعْبُرُ فِيهَا نَجِسٌ، بَلْ هِى لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِى الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَّالُ، لاَ يَضِلُّ. وباختصار شديد فهناك بعد سبعين كيلومتر من مدينة جدة يوجد طريق الطائف وعلى الطريق المتجه ناحية الشمال لافتة مكتوب عليها: " المدينة المقدسة ممنوع الدخول لغير المسلمين ".

وعن حبقوق[1] النبى – صلى الله عليه: "جاء الله من التيمن، والقدوس من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تمجيد أحمد، وتقديسه وملك الأرض، ورقاب الأمم"[2] وقد بينا أن جبال مكة تسمى فى التوراة: جبال فاران.[3]

---

١ – ظهر حبقوق فى أثناء السنوات الأخيرة قبل سقوط أُورشليم فى سنة ٥٨٦ ق.م.، وقد رأى بعين النبوءة، فى أواخر القرن السابع، الدينونة الماحقة التى ستحل بيهوذا، وتساءل بانزعاج: لماذا سمح الله بشُيُوع الشر فى أوساط يهوذا وكيف يرضى الله أن يستخدم أُمة وثنية كالبابليين لمعاقبة يهوذا على شرها. وقد أجاب الله عن حيرة حبقوق وكشف له عن أكثر مما طلب، إذ أعطاه رؤيا عن ذاته المقدسة. هذه البصيرة الجديدة لإدراك ذات الله، وتبين النبى عجزه ونقصه أمام كمال الله، منحاه الشجاعة على تحمل نكبات تلك الأيام السود بقوة وتصميم.

٢ – يقول النص: " ٣اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ. ٤وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ. " (حبقوق ٣: ٣-٤).

إن هذه النبوءة تشير إلى مكة المكرمة، فقوله: " اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ " تشير إلى بلد فى جنوب شرقى تبوك قرب من المدينة المنورة. وقوله: "اَلْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ " إنما هى إشارة إلى مكة، وحينما يقول " جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ " إنه الأذان، إنها صيحات " الله أكبر " التى تتردد فى الآفاق فى كل الأرض التى يسكنها المسلمون. إنها جلال الله الذى يغطى السماوات والأرض. إنها لا يمكن أن تشير إلى كنيس اليهود الذى يستخدم البوق، ولا إلى كنيسة النصارى التى تستخدم الجرس، ولكنها تشير إلى مئذنة المسجد حيث يعلوها المؤذن ليشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. حتى إذا ما أقيمت الصلاة قام المسلمون خاشعين لله يسبحون ويكبرون ويسجدون بجباههم على الأرض تعظيماً لله ولا يحدث هذا إلا فى صلاة المسلمين. وأما قوله: " وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ " فما أعظم وما أمجد أن يرفع القرآن عالياً ففيه النعمة وفيه الهداية وفيه البركة وفيه كل الخير.

٣ – إن "فاران" اسم مكة بالعبرانية، وقيل اسم لجبال مكة وقد تطلق على جبال الحجاز كلها. بينما يفهم من قاموس الكتاب المقدس أن فاران هى صحراء جنوب فلسطين المتاخمة لسيناء والممتدة إلى إيلات "العقبة" على الخليج. فجعلت فاران بين سيناء وسعير وهو أمر ظاهر الخطأ (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٦٣).

ولنا أن نسأل أولئك الذين يصرون على أن فاران هى فاران سيناء: من هو القدوس الذى تلألأ من ذلكم الجبل الذى لا يرتبط بأدنى علاقة بأى من أحداث الإنسانية المهمة، فمن الذى تلألأ عليه ؟ كما أن فاران صيغة تثنية من فار أو فارّ، بمعنى الفارَّان من مكان إلى مكان آخر أو المهاجران مع ملاحظة أن الفرار هنا كان لله تعالى﴿ ففروا إلى الله﴾. وهناك فرق: فالفارّ يخرج من مكان إلى مكان آخر بفعل فاعل وبغض النظر عن صفة هذا الفاعل، والمهاجر هو الخارج من مكان إلى آخر طواعية ليس بفعل فاعل. وهاتان الصفتان نجدهما فى حالة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام. ففى ذلك المكان المعظم لجأ المهاجران هاجر وإسماعيل بعد أن صحبهما إبراهيم عليه السلام إليه فأقاما فيه، وعلى مقربة منهما وقف إبراهيم عليه السلام ينادى ربه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ

﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وفى تلك البرية الذى أطلق عليها إبراهيم عليه السلام اسم وادى غير ذى زرع، يوجد جبل فاران الذى يحيط بذلك الوادى والذى وقف عليه إبراهيم يؤذن للناس ليأتوا إليه من كل فج عميق ثم دعا بدعوتيه السابقتين. وفى سفر التكوين: "ودعا هناك إبراهيم باسم الرب".
فعندما يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ نعلم من النص أن ذلك المكان لم يكن له اسم معروف وإنما أخذ اسمه من الأحداث التى جرت فيه (نبى أرض الجنوب: الشرقاوى، ص ٨٩). والقصة كما رواها ابن عباس رضى الله عنه، وسجلها لنا الإمام البخارى فى صحيحه نذكرها هنا نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير:
"أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به إنس ولاشيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا ؟ قال نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يلتوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم ترى أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها. ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهى تفور بعد ما تغرف. قال بن عباس: قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن هنها بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم. قال عبد الله بن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الإنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب

وقال داوود – صلى الله عليه: فى مزموره، فى صفة النبى صلى الله عليه – "أنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأنهار، وانه تجثو أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحس أعداؤه التراب. تأتيه الملوك بالقرابين تسجد له وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له، ويرؤف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى من ذهب بلاد سبأ، ويصلى عليه فى كل وقت، ويبارك عليه فى كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس والأمم كلها يتبركون به، وكلهم يحمدونه "[1]

فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج يبتغى لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر فى ضيق وشدة وشكت إليه. قال فإذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد ؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة. قال فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك. قال: ذاك أبى وأمرنى أن أفارقك، فألحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى ولبث عنه إبراهيم ما شاء الله. ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغى لنا. قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ما طعامكم قالت: اللحم. قال: فما شرابكم ؟ قالت الماء. قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء. قال النبى صلى الله عليه وسلم: ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء ؟ قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال ذاك أبى وأمرنى أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد. ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال فاصنع ما أمرك به ربك. قال وتعيننى ؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذ ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. قال وجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم."

١ – أنظر سفر المزامير (مزمور ٧٢): اللهم أعط أحكامك... الخ.

ومن مزمور آخر لداوود – صلى الله عليه وعلى آله – " تقلد السيف، فان ناموسك وشريعتك مقرونة بهيبة، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك "[1]

وليس فى الأنبياء بعد داوود – صلى الله عليه – من تقلد السيف وحارب الأمم تحته. ومن قرنت شريعته بالهيبة غير نبينا – صلى الله عليه.

وأيضا فى الزبور:" أن الله اصطفى أمته، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم الله عز وجل من الأمم الذى لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال "[2]

ومن الظاهر أن هذه صفة أمة نبينا – صلى الله عليه وعلى آله – لأنه ليس فى

---

١ - مزمور ٤٥ وإتماماً للفائدة رأينا عرض المزمور كاملاً، فهو ينطبق على النبى محمد – صلى الله عليه وسلم -: " ١فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ. ٢أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. ٣تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخِذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. ٤وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ. ٥نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ. ٦كُرْسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. ٧أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ. ٨كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ الأَوْتَارُ. ٩بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرَ. ١٠اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَى شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، ١١فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ، لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ. ١٢وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى الشُّعُوبِ تَتَرَضَّى وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ. ١٣كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا. ١٤بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ. ١٥يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. ١٦عِوَضًا عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ. ١٧أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. "

٢ - " ١هَلِّلُويَا. غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَتُهُ فِي جَمَاعَةِ الأَتْقِيَاءِ. ٢لِيَفْرَحْ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ. لِيَبْتَهِجْ بَنُو صِهْيَوْنَ بِمَلِكِهِمْ. ٣لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرَنِّمُوا لَهُ. ٤لأَنَّ الرَّبَّ رَاضٍ عَنْ شَعْبِهِ. يُجَمِّلُ الْوُدَعَاءَ بِالْخَلاَصِ. ٥لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ. لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ. ٦تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ. ٧لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ. ٨لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ. ٩لِيُجْرُوا بِهِمُ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ. كَرَامَةٌ هذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ. هَلِّلُويَا. " (مزمور ١٤٩).

غيرهم من الأمم من يكبر الله بأصوات مرتفعة، ومعهم سيوف ذوات شفرتين، يقاتلون بها من لا يعبد الله.

وعن إشعياء النبى – صلى الله عليه – وقيل أنه فى الفصل التاسع: "لنا ابن سلطانه كتفه، وسلطانه هو حجته"[1] وقيل: أن هذا فى النقل السريانى، وأما النقل العبرانى فقيل: أن فيه "على كتفه علامة النبوة" وهذان التفسيران متقاربان. ومن المعلوم المستفيض: أن نبينا – صلى الله عليه وعلى آله – كان على كتفه خاتم النبوة، ولم ينقل أن ذلك كان لأحد من الأنبياء – صلوات الله عليهم، سواه.

وفى التوراة، وقيل أنه فى السفر الخامس: قال الله عز وجل: " أنى أقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك، اجعل كلامى على فمه "[2]

---

١ – أنظر سفر أشعياء " ٦لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. " (أشعياء ٩: ٦). وفى صحيح الإمام مسلم من حديث جابر بن سَمُرَة قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد شَمِطَ مُقَدَّمُ رأسهِ ولحيتِهِ. وكان إذا ادَّهنَ لَم يتبينَّ، وإذا شَعِثَ رأسه تَبَين. وكان كثير شعر اللحية. فقال رجل: وَجهُهُ مثل السيف ؟ قال: لا. بل كان مثل الشمس والقمر. وكان مستديراً. ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. وفى رواية أخرى يقول جابر بن سمرة: رأيت خاتماً فى ظهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كأنه بيضة حمام. وعن الجعد بن عبد الرحمن، قال: سمعت السائبَ بن يزيد يقول: ذهبت بى خالتى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله إن ابن أختى وَجِعُ. فمسح رأسى ودعا لى بالبركة. ثم توضأ فشربت من وضوئه.ثم قُمتُ خلف ظهرهِ فنظرتُ إلى خاتمِهِ بين كتفيه مثل زِرِّ الحجلة. وقد وافقه البخارى (ج١)، والترمذى (ج٥). والحجلة بفتح الحاء والجيم هذا هو الصحيح المشهور، والمراد بالحجلة واحدة الحجال، وهى بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب المشهور الذى قاله الجمهور. وجاء فى صحيح البخارى: كانت بضعة ناشزة، أى مرتفعة على جسده. (أنظر صحيح مسلم بشرح النووى، ج٨، ص ١٠٩).

٢ – النص يقول: " ١٨أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِى فِى فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِى لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِى الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِى أَنَا أُطَالِبُهُ. " وهذه النبوّة ظنها البعض أنها تنطبق على يسوع المسيح، كما ظنها بطرس كذلك فقال فى خطابه فى رواق سليمان: " ٢٢فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِى سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِى كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. ٢٣وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِىِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. ٢٤وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهذِهِ الأَيَّامِ. ٢٥أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ الَّذِى عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. "، فحينما يقول النص على لسان موسى – عليه السلام –: " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم " فإنَّ

الضمير الغائب المتصل [هم] من كلمة (إخوتهم) يشكل حقيقة من الحقائق لو شاء الرب أن يجعل هذا النبى المنتظر أن يكون من بنى إسرائيل لقال " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم " فيكون الضمير للمخاطب. أمَّا أن يكون الضمير للغائب فمعنى هذا أن النبوة ارتفعت بسلسلة النسب إلى إبراهيم عليه السلام. تقول التوراة: لقد بورك إبراهيم فى الأرض التى قيل عنها أرض الميعاد ولم يرزق بعد بولد ثمَّ أُعطِى الولد. ونرى فى سفر التكوين[١٧: ١٨] أن إبراهيم يقول لله سبحانه: " لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ! " فقال الله له: " ٢٠وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَى عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. هذا هو الوعد الذى وعده الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا يدل على أن النبى الذى يأتى لابد أن يأتى من ذرية إبراهيم عليه السلام وهو بتحديد أكثر من ذرية إسماعيل عليه السلام ؛ لأن الخطاب فى تلك النبوءة موجه للغائب، إذ لو كان النبى المنتظر من بنى إسرائيل فحسب لقيل" من إخوانكم "، ولكن النص يقول: " من وسط إخوتهم "، والمراد بذلك أبناء عمومتهم. وإليك القرائن الدالة على ذلك: ١- عن إسماعيل وذريته " ١٨وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِى أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ. أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ.(تكوين ٢٥: ١٨). ٢- آدوم الذى هو عيسو:" ٤وَأَوْصِ الشَّعْبَ قَائِلاً: أَنْتُمْ مَارُّونَ بِتُخُمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِى عِيسُو السَّاكِنِينَ فِى سَعِيرَ، فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرِزُوا جِدًّا. " (تثنية ٢: ٤). ٣- وصايا الله " ٧لاَ تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ." (تثنية ٢٣: ٧). ومن هنا فإنَّ لفظ الأخوة مقصود به أبناء إسماعيل لأنه جاء لفظ الأخوة بهذا الاستعمال الحقيقى فى وعد الله هاجر فى حق إسماعيل: "وأمام جميع إخوته يسكن ".

والنص كاملاً من سفر التثنية يقول: " يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِى. لَهُ تَسْمَعُونَ. ١٦حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِى حُورِيبَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: لاَ أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِى وَلاَ أَرَى هذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلاَّ أَمُوتَ. ١٧قَالَ لِى الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِى مَا تَكَلَّمُوا. ١٨أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِى فِى فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِى لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِى الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِى أَنَا أُطَالِبُهُ. ٢٠وَأَمَّا النَّبِى الَّذِى يُطْغِى، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِى كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِى. ٢١وَإِنْ قُلْتَ فِى قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ ٢٢فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِى بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِى، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ." (التثنية ١٨: ١٥-٢٢). والأوصاف التسعة التى يتحدث عنها النص تنطبق بوضوح على نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم إذا حذفنا " من وسطك " فهذه العبارة وضعها الكاتب ضمن النص الأصلى للبس الحق بالباطل ليؤكد أن هذا النبى إذا جاء فإنه سيكون من بنى إسرائيل، والدليل على ذلك أن النص يوضح من صفات النبى المنتظر أن يسمع اليهود ويطيعون أى يكون مشرعاً مثل موسى، وقد نصت شريعة موسى على أنه لن يأتى نبى مشرع من بنى إسرائيل كما أوضح سفر التثنية " ١٠وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِى فِى إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِى عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ " (سفر التثنية ٣٤: ١٠). كما أن عبارة "من إخوتك" تحريف للكلم من بعد مواضعه لأنها تحتمل معنيين:

المعنى الأول: من إخوة اليهود أى أنه سيكون إسرائيلياً. والمعنى الثانى: من إخوة اليهود أى أنه سيكون من بنى إسماعيل ؛ لأن إسماعيل أخ لإسحاق، وأولاد الأعمام يطلق عليهم إخوة. ولا

ينصرف لفظ من إخوتك على بنى عيسو أخى يعقوب ولا على أولاد إبراهيم من زوجته قطورة لأن اليهود والنصارى متفقون على حرمان هؤلاء من هبات النبوة.

لقد حدد النص أن الآتى فى المستقبل نبى مثل موسى. فهل عيسى فى معتقد النصارى نبى أم اله ؟ إنه نبى فى اعتقادنا نحن المسلمين وليس إلها. أما فى اعتقاد النصارى فإنه إله. ففى كتاب الأبجية صلاة باكر: " هلم نسجد. هلم نسأل المسيح إلهنا....هلُمَّ نسجد...هلُمَّ نطلب من المسيح ملكنا " ص ١٠ . كما أن النصارى يقولون أن عيسى عليه السلام من نسل داود عليه السلام من سبط يهوذا من جهة الأُم، ومن أوصاف النبى المنتظر أن يسمع اليهود له ويطيعونه فى كل ما يكلمهم به، إذاً فهو مشرع لهم. ولكن شريعة موسى نصت على أنه لا مشرع غيره من بنى إسرائيل " ولم يَقُم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عَرِفَ الرب وجهاً لوجه "، وعلى ذلك فلا يكون النبى المنتظر هو المسيح لأنه من بنى إسرائيل.

ألم يقل النص "وأجعل كلامى فى فمه" ؟ إنه التلقين، وهو إشارة إلى أن هذا النبى ينزل عليه الكتاب وحياً لكونه أمياً، وهو وصف القرآن للنبى محمد – صلى الله عليه وسلم – فى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وأشعياء النبى قد تنبأ عن النبى الأُمى " ١١وَصَارَتْ لَكُمْ رُؤْيَا الْكُلِّ مِثْلَ كَلاَمِ السِّفْرِ الْمَخْتُومِ الَّذِى يَدْفَعُونَهُ لِعَارِفِ الْكِتَابَةِ قَائِلِينَ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: «لاَ أَسْتَطِيعُ لأَنَّهُ مَخْتُومٌ». ١٢ أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ " (أشعياء ٢٩ : ١١-١٢).

فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار معجزته ذات طبيعة حجية عقلية علمية كان لابد أن يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك لإظهار الإعجاز بصورة كاملة، فهو النبى الذى منعه الله أى معرفة قبل الوحى. أما تفسير الأمية الخاص بالأمة فله ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: إطلاق اسم الأمية باعتبار انتسابها للنبى الأمى. ولذلك أثبت القرآن خضوع غير العرب من المسلمين لصفة الأمية باعتبار الانتساب للأمة الأمية فى قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ٣]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كُنا عند النبى – صلى الله عليه وسلم – فأنزلت عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لَمَّا يلحقوا بهم. قال قلت من هم يا رسول الله فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمانُ الفارسى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند الثُّريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء. (متفق عليه). ففى هذا الحديث دليل على عموم رسالته، فقد فسر قوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، قال هم الأعاجم وكل من صدق النبى من غير العرب.

البعد الثانى: هو عدم وجود أى معرفة حضارية للأمة قبل البعثة رغم معرفتها الثابتة للقرأة والكتابة.

البعد الثالث: هو البعد الجامع للأمية بين الرسول والأمة فهو معنى الأمية ومنهج الدعوة. فالأمية فى منهج الدعوة ليست مستوى معرفى ولكنها أسلوب دعوى.. فنحن قوم أميون باعتبار أسلوب الدعوة الذى نراعى فيه كل المستويات البشرية الثقافية والعلمية. عن نافع عن ابن عمر – رضى الله

وهـذا يجـب أن يكـون المراد بـه نبـينا – صـلى الله علـيه وآله – لأن أخوة بنى إسرائيل يجب أن تكـون غيرهـم، ويجـب أن يكـونوا أولاد إسماعـيل – صلى الله عليه – وأولاد عيسـو[1]، أو أولاد اسحـق، ولم يكـن فى أولاد عيسـو بن اسحق نبى، غير أيوب[2] – صلى الله عليه – وكان هو قبل موسى – صلى الله عليه – فلا يصح أن يكون هو المراد. فيجـب أن يكـون المراد نبيـنا – صـلى الله عليه – مـن ولـد إسماعـيل. يبين ذلك: أن بنى إسرائيل لم يبعث فيهم نبى مثل موسى له شريعة ظاهرة قبل المسيح، ولا يصح أن يقال: أن المراد به هو المسيح – صلى الله عليه – لأن القائل به، إما أن يكون يهوديا منكرا لنبوته أو نصرانيا، لا يقول: أنه كان مثل موسى – صلى الله عليه – لأن النصارى يقولون: أن المسيح ابن الله، فلا يصح أن يكون مثل موسى – صلى الله عليه – فلم يبق إلا أن يكون المراد به نبينا – صلى الله عليه وآله – على أن عيسى – صلى الله عليه – لم يكن مثل موسى – صلى الله عليه – لأن شريعته مبنية على شريعة موسي[3]، وشريعة نبينا مثل شريعة موسى – صلى الله عليه – فإنها لم تبن على شريعة غيره.

وعـن أشعـياء – صلى الله عليه: " قيـل لى قـم نظـارا، فانظر ما ترى تخبر به،

عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذكر رمضان فضرب بيديه فقال الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم عقد إبهامه فى الثالثة فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أُغمى عليكم فاقدروا له ثلاثين. (متفق عليه). وهذا الحد يمثل الحد الأدنى للعقول التى نتعامل معها فى دعوتنا، وهو نقل الرسالة كما هى باعتبارها فطرة (رفاعى سرور، فى النفس والدعوة، ص ٢٨٦).

١ - وعيسو اخ توأم ليعقوب و هو الأكبر (او من ولد اولا)كما أن يعقوب سرق منه البكورية بمساعدة أمه و عاد من الغربة التى هرب إليها بعد ما فعل ذلك و اعتذر لأخيه.

٢ - من سلالة سيدنا إبراهيم كان من النبيين الموحى إليهم، كان أيوب ذا مال وأولاد كثيرين ولكن الله ابتلاه فى هذا كله فزال عنه، وابتلى فى جسده بأنواع البلاء واستمر مرضه ١٣ أو ١٨ عاما اعتزله فيها الناس إلا امرأته صبرت وعملت لكى توفر قوت يومهما حتى عافاه الله من مرضه وأخلفه فى كل ما ابتلى فيه، ولذلك يضرب المثل بأيوب فى صبره وفى بلائه، روى أن الله يحتج يوم القيامة بأيوب عليه السلام على أهل البلاء.

٣ - ودليل ذلك من إنجيل متّى " ١٧ لاَ تَظُنُّوا أَنِّى جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. ". (أنظر إنجيل متى ٥: ١٧).

قلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما: هوت آلهة بابل[1]، وتكسرت عليه أصنامها المنجورة "[2] فكان راكب الحمار، عيسى – صلى الله عليه – وراكب الجمل نبينا – صلى الله عليه وآله – وآلهة بابل لم تزل تعبد من لدن إبراهيم – صلى الله عليه – إلى أن بعث الله نبيه – صلى الله عليه – فعندما هوت وتكسرت، واشتهار ركوب النبى – صلى الله عليه وعلى آله – الجمل، كاشتهار ركوب عيسى – صلى الله عليه – الحمار.[3]

وفى التوراة: " إذا جاءت الأمة الآخرة، اتباع راكب البعير، يسبحون الله تسبيحا جديدا فى الكنائس الجدد، فليفرح بنو إسرائيل ويسيرون إلى صهيون، ولتطمئن قلوبهم، لأنه اصطفى منهم فى الأيام الآخرة أمة جديدة، يسبحون الله بأصوات عالية، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون له من الأمم الكافرة فى جميع الأقطار.[4]

وعن أشعياء النبى صلى الله عليه: " هكذا يقول الرب أنك ستأتى من جهة

---

١ - بابل: من البابلية باب + ايلو أى " باب الله " (من إعجاز القرآن، ج١، ص ١٩٦)

٢ - يقول النص: " ٦لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «اذْهَبْ أَقِمِ الْحَارِسَ. لِيُخْبِرْ بِمَا يَرَى». ٧فَرَأَى رُكَّابًا أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ. رُكَّابَ حَمِيرٍ. رُكَّابَ جِمَال. فَأَصْغَى إِصْغَاءً شَدِيدًا، ٨ثُمَّ صَرَخَ كَأَسَدٍ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْمَرْصَدِ دَائِمًا فِي النَّهَارِ، وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى الْمَحْرَسِ كُلَّ اللَّيَالِي. ٩وَهُوَذَا رُكَّابٌ مِنَ الرِّجَالِ. أَزْوَاجٌ مِنَ الْفُرْسَانِ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «سَقَطَتْ، سَقَطَتْ بَابِلُ، وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِ آلِهَتِهَا الْمَنْحُوتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الأَرْضِ "

٣ - من النصوص الدالة على ذلك ما ورد فى إنجيل متى: " ١وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ ٢قَائِلاً لَهُمَا:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. ٣وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا». ٤فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَى يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: ٥ «قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ». ٦فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، ٧وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. (إنجيل متى ٢١: ١-٧).

٤ - أنظر مزمور ١٤٩

التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعا، قدامك الروائع والرعارع والرياح"[1] والتيمن هو ناحية الجنوب. [2]

---

١ - يقول النص: " ٢٦فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. ٢٧لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ، وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ، وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أَحْذِيَتِهِمُ. ٢٨الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعُ قِسِيِّهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَّانِ، وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزَّوْبَعَةِ. ٢٩لَهُمْ زَجْرَةٌ كَاللَّبْوَةِ، وَيُزَمْجِرُونَ كَالشِّبْلِ، وَيَهِرُّونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلاَ مُنْقِذَ. ٣٠يَهِرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. فَإِنْ نُظِرَ إِلَى الأَرْضِ فَهُوَذَا ظَلاَمُ الضِّيقِ، وَالنُّورُ قَدْ أَظْلَمَ بِسُحُبِهَا. "

٢ - ورد فى سفر أشعياء: " ١قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. ٢لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. ٣فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. ٤ارْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. ٥حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. ٦تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ سَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ.(الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد) ٧كُلُّ غَنَمِ (الأضحية) قِيدَارَ (جد النبى صلى الله عليه وسلم) تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي. ٨مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا ؟ ٩إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، وَسُفُنَ تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ وَفِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكِ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ. " (أشعياء ٦٠: ١-٨). لاحظ أن الكلام هنا عبارة عن نبؤة مستقبلية وينصرف إلى مدينة بعينها، إنها مدينة يأتى إليها الناس من كل دول العالم براً وبحراً ووجواً وتنحر فيها الأضاحى من جمال مديان وعيفه وشبا، وغنم قيدار وكباش نبايوت. وكل هذه المسميات من مواقع جغرافيه وأسماء قبائل، كلها تقع فى أرض الجنوب فى شبه الجزيرة العربية ولا علاقة لها بفلسطين أو أورشليم. فمناطق مديان وعيفه وشبا تشمل الجزء الغربى لشبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالا وحتى أقصى الجنوب فى اليمن العربى بمحاذاة ساحل البحر الأحمر أى تشمل إقليم الحجاز كاملا. فقيدار ونبايوت من أبناء إسماعيل عليه السلام، والمقصود هنا القبائل العربية التى من نسل قيدار ونبايوت المقيمون بوادى بكة وبرية فاران. ومن ذرية قيدار بن إسماعيل جاء النبى العربى الأمى محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا دخل للمسيحيين بهذا النص ؛ لأنهم لا يقدمون الأضاحى لله تعالى كما يفعل المسلمون، كما أنه لا دخل لليهود بهذا النص فمدينتهم المقدسة ليست بأرض الجنوب. " ١فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ." فكلمة الجنوب تشير إلى خروج القافلة الإبراهيمية من مصر وبالتحديد عبر شبه جزيرة سيناء. وبرسم خريطة مبسطة لطريق الخروج عبر سيناء نجد أن اتجاه الجنوب من سيناء يشير إلى إقليم الحجاز فى شبه جزيرة العرب. والنص هنا يتكلم عن الصعود من سيناء مصر، أى السير إلى جهة الجنوب بالنسبة إلى سيناء ثم التأكيد على اتجاه السير بعبارة: إلى الجنوب. فالفقرة الأولى من النص تتكلم عن الاتجاهات الجغرافية

وعنه من فضل ذكر هاجر، وقال مخاطبا لها ولبلادها وولدها " مكة قومى، وأنيرى مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام، وغطى على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر كرامته عليك، وتسير الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر كرامتك عليك، وتسير الأمم إلى نورك والملوك إلى ضوء طلوعك، أرفعى بصرك إلى ما حولك وتأملى، فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وسترين ذلك فتبتهجين، وتفرحين، ويستروح قلبك، من أجل أنه يميل إليك ذخائر البحر، وتحج إليك عساكر الإبل، حتى تعمرك الإبل المابلة، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع أليك ويساق إليك كباش مدين وتسير إليك أغنام قيدار،وتخدمك رجال نبايوت "[1]. وقيدار هو ابن إسماعيل – صلى الله عليه

لسير القافلة ولا تتكلم عن محطات الانتقال ولا مسميات الأماكن. والمسيحيون لا يعترفون بأن إبراهيم قد صعد إلى مكة المكرمة، فماذا يفعلون حيال ذلك النص الذى ينسف رفضهم للتواجد الإبراهيمى بمكة المكرمة ؟!

" ٣وَسَارَ فِى رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِى الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَاى، ٤إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِى عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ. " (التكوين ١٣: ٣-٤).

أى أن الهدف من هذه الرحلة الجنوبية هو الوصول إلى (بيت إيل)، والغرض من الوصول هناك هو أن يقوم إبراهيم عليه السلام بالدعاء باسم الرب. فإذا كان الهدف هو الوصول إلى مكان بيت إيل والرحلة بدأت طريقها إليه متخذة اتجاه الجنوب، فإنه بالتأكيد يوجد فى اتجاه الجنوب. وإلا فلا معنى لسير القافلة جنوباً وبيت إيل يوجد فى أقصى الشمال الشرقى لحدود مصر أى فلسطين. (أنظر جمال الشرقاوى، نبى أرض الجنوب، ص ٢٦). كما أن المسميات التى ذكرت فى النص مثل: مديان وعيفه وشبا وترشيش وقيدار ونبايوت. هى مسميات عربية، سواء لأماكن أو قبائل أو أشخاص.

١ - النص هو: " ١تَرَنَّمِى أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِى لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِى بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِى لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِى الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِى ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. ٢أَوْسِعِى مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لاَ تُمْسِكِى. أَطِيلِى أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِى أَوْتَادَكِ، ٣لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً. ٤لاَ تَخَافِى لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِى لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْىَ صِبَاكِ، وَعَارَ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. ٥لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلَهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. ٦لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ. ٧لَحُيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. ٨بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِى عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِى أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. ٩لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِى. كَمَا حَلَفْتُ

– وهـو جد النبي- صلى الله عليه – ونبايوت هو أخو قيدار وأولاده شديدو القلب.

ومن كتاب أشعياء: "سكان البادية والمدن وقصور آل قيدار: يسبحون،ومن رؤوس الجبال: ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، وينهون تسبيحه فى البر والبحر، يرفع علما لجميع الأمم، فيصفر لهم من أقاصى الأرض فإذا هم سراع يأتون"[1] وقيدار بن إسماعيل هو جد النبى – صلى الله عليه وعلى آله – ونداؤهم بالتلبية من رؤوس الجبال، وتسبيحهم لله جل وعز هو الذى ظهر من المسلمين، والنبى – صلى الله عليه – هو صفر لمواسم – أى نادى – فاتوه مسرعين.

وفى الإنجيل قال المسيح – صلى الله عليه – للحواريين: "أنا ذاهب وسيأتيكم الفيرقليط، روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد على به " وفى حكاية يوحنا عن المسيح – صلى الله عليه: "الفيرقلط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطية، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا، ولكن مما يسمع به يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب "[2]

أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. ١٠فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِى فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِى لاَ يَتَزَعْزَعُ، قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ. ١١أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِى بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ، وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، ١٢وَأَجْعَلُ شُرَفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةَ بَهْرَمَانِيَّةً، وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً ١٣وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا. ١٤بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. ١٥هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِى. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. ١٦هأَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَّادَ الَّذِى يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِى النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ. ١٧كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِى الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِى، يَقُولُ الرَّبُّ. " (أشعياء ٥٤).

١ – النص يقول: " ١١لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِى سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. ١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِى الْجَزَائِرِ. ١٣الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. " (أشعياء ٤٢: ١١-١٣).

٢ – من أعظم بشارات العهد الجديد بالنبى الخاتم هى نبوءات المسيح عن مجيء البارقليط. وينفرد يوحنا فى إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح بهذا النبى المنتظر، حيث يقول المسيح موصياً تلاميذه: " ١٥إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِى فَاحْفَظُوا وَصَايَاىَ، ١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ

لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، ١٧رُوحُ الحَقِّ الَّذِى لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. ١٨لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّى آتِى إِلَيْكُمْ. ١٩بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَرَانِى الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِى. إِنِّى أَنَا حَى فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. ٢٠فِى ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّى أَنَا فِى أَبِى، وَأَنْتُمْ فِى، وَأَنَا فِيكُمْ. ٢١اَلَّذِى عِنْدَهُ وَصَايَاىَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِى، وَالَّذِى يُحِبُّنِى يُحِبُّهُ أَبِى، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى. ٢٢قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِى:«يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟» ٢٣أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:«إِنْ أَحَبَّنِى أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِى، وَيُحِبُّهُ أَبِى، وَإِلَيْهِ نَأْتِى، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. ٢٤اَلَّذِى لاَ يُحِبُّنِى لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِى. وَالْكَلاَمُ الَّذِى تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِى بَلْ لِلآبِ الَّذِى أَرْسَلَنِى. ٢٥بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. ٢٦وَأَمَّا الْمُعَزِّى، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِى سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِى، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَىْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. ٢٧سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِى أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِى الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. ٢٨سَمِعْتُمْ أَنِّى قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِى إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِى لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّى قُلْتُ أَمْضِى إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِى أَعْظَمُ مِنِّى. ٢٩وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. ٣٠لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِى وَلَيْسَ لَهُ فِى شَىْءٌ. " (يوحنا ١٤: ١٥-٣٠). وفى الإصحاح الذى يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه، ثم يقول: " وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّى الَّذِى سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِى مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِى. ٢٧وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِى مِنَ الابْتِدَاءِ. (يوحنا ١٥: ٢٦).

" ١قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَى لاَ تَعْثُرُوا. ٢سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِى سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لله. ٣وَسَيَفْعَلُونَ هذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِى. ٤لكِنِّى قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّى أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ لأَنِّى كُنْتُ مَعَكُمْ. ٥وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِى أَرْسَلَنِى، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِى: أَيْنَ تَمْضِى؟ ٦لكِنْ لأَنِّى قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. ٧لكِنِّى أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّى، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: ٩أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِى. ١٠وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّى ذَاهِبٌ إِلَى أَبِى وَلاَ تَرَوْنَنِى أَيْضًا. ١١وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. ١٢إِنَّ لِى أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِى، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِى وَيُخْبِرُكُمْ. " (يوحنا ١٦: ١-١٢). ففى هذه النصوص يتحدث المسيح عن صفات الآتى بعده، فمن هو هذا الآتى ؟ يجيب النصارى بأن الآتى هو روح القدس الذى نزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم فى فقدهم للسيد المسيح، وهناك " ١وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ٢وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، ٣وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ٤وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. " (أعمال الرسل ٢: ١-٤). ويعتقد المسلمون أن ما جاء فى إنجيل يوحنا عن المعزى، إنما هو بشارة من المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويتضح ذلك من أمور:

أن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبرانى لا باليونانى، فإذاً لا يبقى شك فى أن الإنجيل الرابع (يوحنا) ترجم اسم المبشر به باليونانى بحسب عادتهم، ثمّ مترجمو العربية عرّبوا اللفظ اليونانى بـ(بارقليط). (أنظر إظهار الحق ص ١١٨٧). ومنها أن لفظة " المعزى " لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمة تضع الكلمة اليونانية (الباركليت) كما هى، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية. (أنظر الطبعات ١٨٤٤، ١٨٣١، ١٨٢٣، ١٨٢١). وفى تفسير كلمة " باركليت " اليونانى نقول: المصطلح بارقليط وصورته اليونانية باركليت لا يوجد إلا فى كتابات يوحنا المنسوب إليه الإنجيل الرابع ورسالتين معروفتين باسمه. ولم يتعرف على ذلك المصطلح أحد من كتبة باقى الأناجيل اليونانية وسائر كتبة أسفار العهد الجديد سواء المعروف منها أو المكتشفة حديثاً. فلم يذكره بولس فى رسالته، ولم يذكره أصحاب الأناجيل الثلاثة وباقى كتبة رسائل العهد الجديد، وهم جميعاً أسبق فى التدوين من يوحنا. لماذا ؟

وفى النسخ العربية نجد فيها بدلاً من الاسم بارقليط الكلمات (المعزى والمعين والمؤيد والشفيع) وفى الترجمات الإنجليزية قالوا: (..... Counselor، Helper، Advocate، Comforter) وكل هذه المحاولات جنوح عن لغة المسيح عليه السلام. فتجد فى الرسالة الأولى ليوحنا: " " ١يَا أَوْلاَدِى، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَى لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. " (رسالة يوحنا الأولى ٢: ١).

إن هذا اللفظ اليونانى الأصل، لا يخلو من أحد حالين، الأول أنه " بارا كلى توس ". فيكون حسب قول النصارى بمعنى: المعزى والمعين والوكيل. والثانى أنه " بيريكليتوس "، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد. (أنظر إظهار الحق). وأحمد ومحمد تعنى موضع الثناء والحمد، وهى تترجم فى اللغة اليونانية دائماً بكلمة " بيريكليتوس ". وإنجيل يوحنا حالياً فى النسخة الإنجليزية يستخدم كلمة (Comforts) أى: معزى، بضم الميم وكسر الزاى مشددة كترجمة للكلمة اليونانية " باراكليتوس " والتى تعنى شفيع أو مدافع، وهو الشخص الذى يدعى لمساعدة آخر أو صديق حميم أكثر مما تعنى معزى. وكلمة باراكليتوس هى تحريف فى القرأة للكلمة الأصلية " بيريكليتوس ". (أنظر ديدات، محمد الخليفة الطبيعى للمسيح، ص ٣٨). يقول أسقف بنى سويف الأنبا اثناسيوس فى تفسيره لإنجيل يوحنا: " إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير " بيركليت "، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ " أحمد ". (أحمد حجازى السقا، نبؤة محمد فى الكتاب المقدس، ص ١٠١). لقد غيروا " بيركليت " بكسر الباء، إلى " باركليت " بفتح الباء. وقالوا إن معنى " بيركليت " أحمد ومعنى " باركليت " الآتى عوضا عن المسيح ليعزّى بنى إسرائيل فى فقدهم الملك والشريعة. (السابق، ص ٩٩). وهنا يجب مراعاة أن كلمة قليط تحتوى على حرفين لا يستطيع اليونانيون أن ينطقوهما نطقا صحيحا هما: القاف والطاء، حيث يتحولان عندهم إلى الكاف والتاء، فيقولون كليت بدلاً من قليط. (الشرقاوى، نبى أرض الجنوب، ص ٣٠٣ بتصرف). ويقول القمص مرقس عزيز خليل: إن الكلمة اليونانية هى: باراكليتس، ومعناها المعزى، أما بيركليتس فمعناها المحمود، والمشهور. (استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٣٣٩). ومما يؤكد خطأ الترجمة أن اللفظة اليونانية (بيركليتس) اسم لا صفة، فقد كان من عادة اليونانيين زيادة السين فى آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه فى الصفات. ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للباركليت بأنه " شخص يدعى

للمساعدة أو شفيع أو محام أو وسيط " غير صحيح، فإن كلمة بارقليط اليونانية لا تفيد أياً من هذه المعانى، فالمعزى فى اليونانية يدعى (باركالوف أو باريجوريس)، والمحامى تعريب للفظة (سانجرس)، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا "، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أى من هذه المعانى إنما هو نوع من التحريف. (عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، ص ٣٥). ومثل هذا التحريف لا يستغرب وقوعه فى كتب القوم، ففيها من الطوام مما يجعل تحريف كلمة " البيركليت " من السهل الهين. والسؤال الذى يطرح نفسه: هل المسيح استخدم كلمة المعزى باللغة العربية ؟ بالطبع لا. لأن عيسى عليه السلام لم يكن يتحدث اللغة العربية، وبالمثل فهو لم يكن يتحدث اللغة الإنجليزية حتى يستخدم كلمة (Comforts) التى تعنى مساعد أو معاون. فمن هو المعزى: " ٢٦وَأَمَّا الْمُعَزِّى، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِى سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِى، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. (يوحنا ١٤: ٢٦). فهل المعزى هو الروح القدس ؟ النصارى جميعاً يجيبون بنعم ؟! إذن فلنقرأ هذا النص: " ١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، " (يوحنا ١٤: ١٦). والنص فى اللغة الإنجليزية يقول: if you love me you will keep my commandment. and I will pray the father and He will give you another counselor to be with you for ever وترجمته هى: إن كنتم تحبونى حافظوا على وصاياى وسوف أدعوا (أتوسل) للآب وهو سوف يعطيكم مرشداً (بارقليط) آخر يبقى معكم إلى الأبد. إن قول المسيح عليه السلام وسوف أدعوا أو أتوسل معناه التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وهو لا يكون بين طرفين متساويين وإنما بين عبد وإله، ولكن القوم ترجموها فى العربية إلى (أطلب). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ونركز هنا على كلمة " آخر " ومعناها شخص بخلاف الأول ولكن من نفس النوع وإن كان يختلف بوضوح عن الشخص الأول. فمن إذاً هو المعزى الأول؟؟

أو قُل: من هو البارقليط الأول ؟ الكل متفق على أنه المتكلم نفسه عيسى عليه السلام. إذاً فإن الآخر لابد أن يكون من نفس الطبيعة والنوعية، يجوع ويعطش ويتعب....الخ. ولكن المعزى الموعود " يمكث معكم إلى الأبد " إنه سيبقى ويستمر إلى الأبد.. كل الرسل يمكثون معنا إلى الأبد. موسى معنا اليوم بتعاليمه وعيسى معنا بتعاليمه ومحمد معنا بتعاليمه، عليهم جميعاً صلوات الله وتسلياته. (ديدات، محمد الخليفة الطبيعى للمسيح، ص ٥١-٣٥ بتصرف). وأياً كان المعنى للبارقليط: أحمد أو المعزى فإن الأوصاف والمقدمات التى ذكرها المسيح للبارقليط تمنع أن يكون المقصود به روح القدس، وتؤكد أنه كائن بشرى يعطيه الله النبوة. وذلك واضح من خلال التأمل فى نصوص يوحنا عن البارقليط.

" ١٢إِنَّ لِى أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِى، " (يوحنا ١٦: ١٢-١٤). فإن يوحنا استعمل فى حديثه عن البارقليط أفعالاً حسية مثل (الكلام، والسمع، والتوبيخ) فى قوله: " كل ما يسمع يتكلم به " وهذه الصفات لا تنطبق على الألسنة النارية التى هبت على التلاميذ يوم الخمسين، إذ لم ينقل أن الألسنة النارية تكلمت يوم ذاك بشيء، وأما الروح فغاية ما يصنعه إنما هو الإلهام القلبى، وأما الكلام فهو صفة بشرية، لا روحية. ومن صفات الآتى أنه يجيء بعد ذهاب المسيح من الدنيا، فالمسيح وذلك

الرسول المعزى لا يجتمعان فى الدنيا، وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن المعزى لا يمكن أن يكون الروح القدس الذى أيد المسيح طيلة حياته، بينما المعزى لا يأتى الدنيا والمسيح فيها " إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي". وروح القدس سابق فى الوجود على المسيح، وموجود فى التلاميذ من قبل ذهاب المسيح، فقد كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض. (أنظر سفر التكوين الإصحاح الأول). كما كان له دور فى ولادة عيسى حيث أن أمه " وجدت حبلى من الروح القدس " (متى ١: ١٨). كما اجتمعا سوياً يوم تعميد المسيح، حين " نـزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة " (لوقا ٣: ٢٢). فالروح القدس موجود مع المسيح وقبله، وأما المعزى " إن لم أنطلق لا يأتيكم "، فهو ليس الروح القدس. ومما يدل على بشرية الروح القدس أنه من نفس نوع المسيح، والمسيح كان بشراً، وهو يقول عنه: " وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر "، وهنا يستخدم النص اليونانى كلمة (allon) وهى تستخدم للدلالة على الآخر من نفس النوع، فيما تستخدم كلمة (hetenos) للدلالة على آخر من نوع مغاير. وإذا قلنا إن المقصود من ذلك رسول آخر أصبح كلامنا معقولاً، ونفتقد هذه المعقولية إذا قلنا: إن المقصود هو روح القدس الآخر، لأن روح القدس واحد وغير متعدد. ثم إن الآتى عرضة للتكذيب من قبل اليهود والتلاميذ، لذا فإن المسيح يكثر من الوصية بالإيمان به واتباعه، فيقول لهم: " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى "، ويقول: " قلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنوا "، ويؤكد على صدقه فيقول: " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ". فكل هذه الوصايا لا معنى لها إن كان الآتى هو الروح القدس، حيث نزل على شكل ألسنة نارية، فكان أثرها فى نفوسهم معرفتهم للغات مختلفة، فمثل هذا لا يحتاج إلى وصية للإيمان به والتأكيد على صدقه. والروح القدس أحد أطراف الثالوث، وينبغى وفق عقيدة النصارى أن يكون التلاميذ مؤمنين به، فلم أوصاهم بالإيمان به ؟ كما أن روح القدس وفق كلام النصارى إله مساو للآب فى إلوهيته، وعليه فهو يقدر أن يتكلم من عند نفسه، وروح الحق الآتى " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ". إن ذلك النص يشابه ما جاء بسفر التثنية " وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " (تثنية ١٨: ١٨) ويشبه ما قاله القرآن الكريم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] كما أن المسيح أخبر أنه قبل أن يأتى البارقليط ستقع أحداث هامة وبارزة " سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله "، فالنص لا يتحدث عن اضطهاد الرومان أو اليهود لأتباع المسيح، وإنما يتحدث عن اضطهاد رجالات الكنيسة لأتباع المسيح الموحدين، وهم - أى رجال الكهنوت - يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، ويقدمون خدمة لله ودينه، فقررت مجامعهم طرد آريوس والموحدين، وأخرجوهم من المجامع الكنسية، وحكموا عليهم بالحرمان والاضطهاد، واستمر الاضطهاد بأتباع المسيح حتى ندر الموحدون قبيل ظهور الإسلام. وذكر يوحنا أن المسيح خبّر تلاميذه بأوصاف البارقليط، والتى لم تتمثل بالروح القدس الحال على التلاميذ يوم الخمسين، فهو شاهد تضاف شهادته إلى شهادة التلاميذ فى المسيح " فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضاً " فأين شهد الروح القدس للمسيح ؟ وبم شهد؟ فى حين نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد للمسيح بالبراءة من الكفر وادعاء الألوهية والبنوة لله، كما شهد ببراءة أمه مما رماها به اليهود ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] يقول تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١] ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصف: ٦] والآيات السابقة من القرآن الكريم تشهد على لسان النبى محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام رسول الله. وهذه هى الشهادة. " وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتدأ ". فبماذا شهد التلاميذ ؟

شهادة بطرس:

" أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِى رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ الله بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِى وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. " (أعمال الرسل ٢: ٢٢).

شهادة نيقوديموس:

"يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً". (يوحنا ٣: ١-٢)، فهو يشهد بأن عيسى عليه السلام رسول ومعلم.

شهادة الشاب الغنى:

"وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل". (متى ١٩: ١٦). فلم يدعوه رباً أو إله بل دعاه "معلم" أى رسول.. " فقالت الجموع: هذا هو يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل ". (متى ٢١: ١١). وأخبر المسيح عن تمجيد الآتى له، فقال: " ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم " ولم يمجد المسيح أحد ظهر بعده كما مجده نبى الإسلام، فقد أثنى عليه، وبيّن فضله على سائر العالمين فى حين أنه لم ينقل لنا أى من أسفار العهد الجديد أن روح القدس أثنى على المسيح أو مجده يوم الخمسين، حين نزل على شكل ألسنة نارية. كما أن البارقليط " يذكركم بكل ما قلته لكم " وليس من حاجة بعد رفعه بعشرة أيام إلى مثل هذا التذكير، ولم ينقل العهد الجديد أن روح القدس ذكرهم بشيء، بل إنا نجد كتاباتهم ورسائلهم فيها ما يدل على تقادم الزمن ونسيان الكاتب لبعض التفاصيل التى يذكرها غيره، بينما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما غفلت عنه البشرية من أوامر الله التى أنزلها على أنبيائه ومنهم المسيح عليه السلام. والبارقليط له مهمات لم يقم بها الروح القدس يوم الخمسين فهو " متى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة " ولم يوبخ الروح القدس أحداً يوم الخمسين، بل هذا هو صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البشرية الكافرة. إن التوبيخ على البر قد فسره المسيح بقوله بعده: " وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونني "، ومعناه أنه سيوبخ القائلين بصلبه، المنكرين لنجاته من كيد أعدائه، وقد أخبرهم أنه سيطلبونه ولن يجدوه، لأنه سيصعد إلى السماء، " يا أولادى أنا معكم زماناً قليلاً بعد، ستطلبوننى، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن..." (يوحنا ١٣: ٣٢). كما سيوبخ النبى الآتى الشيطان ويدينه بما يبثه من هدى ووحى " وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين". وصفة التوبيخ لا تناسب من سمى بالمعزى، وقيل بأنه جاء إلى التلاميذ يعزيهم بفقد سيدهم ونبيهم. ثم العزاء إنما يكون فى المصائب، والمسيح كان يبشرهم بذهابه ومجيء الآتى بعده. كما أن العزاء إنما يكون حين المصيبة وبعدها بقليل، وليس بعد عشرة أيام (موعد نزول الروح القدس على التلاميذ)، ثم لماذا لم يقدم المعزى القادم العزاء لأم المسيح، فقد كانت أولى به. ولا يجوز

للنصارى أن يعتبروا قتل المسيح على الصليب مصيبة تستوجب العزاء، إذ هو برأيهم سبب الخلاص والسعادة الأبدية للبشرية، فوقوعه فرحة ما بعدها فرحة، وإصرار النصارى على أن التلاميذ احتاجوا لعزاء الروح القدس يبطل عقيدة الفداء والخلاص. ومن استعراض ما سبق ثبت بأن روح القدس ليس هو الباركليت، فكل صفات الباركليت صفات لنبى يأتى بعد عيسى، وهو النبى الذى بشر به موسى عليه السلام، فالبارقليط " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به "، وكذا الذى بشر به موسى " أجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به "، وهو وصف النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الله ﴿ وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى ﴾ (النجم: ٣-٥).

روح الحق:

" ١٢إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، " (يوحنا ١٦: ١٢-١٤).

ويقول تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾.

لقد تنبأ يسوع عن أنبياء كذبة وحذر منهم تلاميذه، حيث قال لهم: " احترزوا من الأنبياء الكذبة " (متى ٧: ١٥). ويقول يوحنا فى رسالته الأولى عن الأنبياء الكذبة: " أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم " (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١).

لقد فسر يوحنا معنى كلمة روح وبين أنها تعنى نبى، فعبارة يوحنا (الروح الحق) معناها (النبى الحق) وذلك حسب رواية يوحنا، وبناءً على ذلك يكون البارقليط هو النبى الحق والرسول الحق. هؤلاً هم الأنبياء الكذبة الذين كتب عنهم كل من يسوع ويوحنا، وأما قول يوحنا عن النبى "البارقليط" الآتى فإن سمته البارزة أنه "روح الحق". وفى نص رسالة يوحنا نلاحظ أن كلمة "روح " استخدمت مرادفة لكلمة النبى "لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح" أى أن الروح الحقيقى هو النبى الحقيقى، والروح المزيف هو النبى المزيف، وعلى ذلك فإن الروح القدس تبعاً للقديس يوحنا هو النبى القدسى. وما هو إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

المعيـــار:

كيف نتعرف على النبى الحق الذى هو روح الحق؟

يقول يوحنا فى رسالته الأولى: "بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله" (رسالة يوحنا الأولى ٤: ٢). عرفنا أن معنى روح الله أى نبى الله ومعنى كل روح أى كل نبى طبقاً لكلمات يوحنا السابقة فى الرسالة الأولى.

فماذا قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام؟؟

هل اعترف بيسوع المسيح؟

لقد ذُكر عيسى عليه السلام باسمه "عيسي" فى القرآن ٢٥ مرة، وكُنّى عنه بأوصاف مثل: النبى ـ روح الله ـ كلمة الله ـ من الصالحين....الخ (ديدات، محمد الخليفة الطبيعى للمسيح، ص ٥٠-٥٢ بتصرف).

ويخبركم بأمور آتية

هذا يشير إلى عظمة الإسلام وعلو مصدره لأنه ـ أى القرآن ـ يحدثنا عن الإعجاز العلمى الذى ما كان يستطيعه ذلك النبى الأمى الذى عاش فى بيئة أمية فى القرن السابع الميلادى، بل ما كان يستطيعه أساطين العلم والحكمة فى ذلك الزمان، والقرآن الكريم يضم بين دفتيه أكثر من ٧٠٠ آية تتحدث عن الإعجاز العلمى. وفى هذا الصدد يمكن الرجوع إلى مؤلفات الشيخ عبد المجيد الزندانى، والدكتور محمد منصور حسب النبى، والدكتور زغلول النجار. "إن القرآن ليس كتاباً متخصصا فى الطب أو الفلك أو طبقات الأرض، كما أنه ليس مرجعاً فى الكيميا أو الطبيعة أو الرياضيات. لكن شيئاً من ذلك قد يورده فى معرض الهداية من قبيل إقامة الأدلة على الحقيقة المنشودة التى سيق الكلام لها أصلاً.. وهو إذ يوردها فإنما يوردها مجملة لا مفصلة مراعاة لمدارك مستقبلية من الناس، حتى لا يحدث بها لا يستطيعون إدراكه فيكذبوه..!" (عبد الحميد ندا، المدخل إلى التفسير، ص ٤٦٥). يقول إبراهيم خليل أحمد: " لقد حضرت المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم المنعقد بجامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة من ٢٢-٢٦ سبتمبر ١٩٨٥وكانت المفاجأة السارة والمبهرة ونحن جلوس حول مائدة السيد رئيس الجمهورية فى مساء الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٨٥ بفندق ماريوت بالزمالك إذ نطق البروفيسور اليسون بالمر professor A. palmer رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر المثوى للجمعية الجيولوجية الأمريكية نطق قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فى حضرة مندوب رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. وقال: إن القرآن الكريم لا ريب هو كلام الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وتلا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧-٩]. وقال: إن العلماء قد قضوا سنوات مضنية من البحوث عن نشأة الجنين فى رحم المرأة وكيف تدب فيه الحياة. ولقد انبهر بالقرآن الكريم حينما استمع لتلاوة الشيخ عبد المجيد الزندانى لهذه الآيات وأبصرها بنفسه وقرأها فى تدبر وقال: إن القرآن الكريم سبق العلم الحديث فى هذا المضمار العلمى، ومن ثم فإن القرآن الكريم هو كلام الله حقاً. وإنه لشرف كبير أن يعلن إسلامه ويبرأ من كل دين يغاير دين الإسلام. (إبراهيم خليل احمد، محاضرات فى مقارنة الأديان، ص ١١٩).

إعجاز للكافرين:

يقول تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

فهذه السورة نزلت فى أبى لهب وكان كافراً ونزلت فى أمر اختيارى وهو الإيمان. قالت الآية إن أبا لهب سيموت كافراً وسيدخل النار، ماذا كان يحدث لقضية الإيمان لو أن أبا لهب جمع كفار قريش وقال لهم: إن محمداً قال عنى كلاماً.. ويقول إنه منزل من الله تعالى وأننى سأموت كافراً. وأنا أقولها لكم وأمامكم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. لتعرفوا أن هذا الكلام الذى قاله محمد

ليس من عند الله. ولكن لأن الله هو القائل لم يدر بخاطر أبى جهل أن يستخدم هذه القضية فى هدم الإسلام، ومات أبو لهب كافراً كما قرر القرآن. (الشعراوى، معجزات الرسول، ص ٢٩). يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤]. فهل تعلم أن الذباب فيه غدة لعابية غنية باللعاب، واللعاب الذى فى الذباب يجعله إذا سقط على شيء من الأطعمة فوراً يسقط عليه لعاباً كثيراً فيحوله إلى شيء آخر فلو أردنا أن نستخلص قطعة من السكر أخذها الذباب ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، لماذا ؟ لأنه بمجرد أن يأخذ الشيء يفرز عليه من لعابه ويحوله إلى مادة أخرى. ومع التقدم العلمى اكتشف العلم اليوم وله أدلته على أن السماء تتسع بتكوين نجوم جديدة وتتباعد أجزائها. حتى أن بعضهم يقول الكون يشبه بالون كبير يُنفخ فيه. والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]. يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢]. وبالمشاهدة نقول أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى. وقد أثبت العلم أن هناك عمداً غير مرئية تتمثل فى قانون الجاذبية وهى التى تساعد كل هذه الأجرام على البقاء فى أمكنتها المحددة. يقول تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذه الآية الكريمة تشرح للإنسان القديم سر مجيء الليل بعد النهار. ولكنها تحوى إشارة رائعة إلى دوران الأرض محورياً وهو الدوران الذى يعتبر سبب مجيء الليل والنهار طبقاً لمعلوماتنا الحديثة ومن بين المشاهدات التى أدلى بها رجل الفضاء الروسى "جاجارين" بعد دورانه فى الفضاء حول الأرض: أنه شاهد تعاقباً سريعاً للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحورى حول الشمس. (وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص ١٩٩). والآيات الكونية كثيرة فى صريح القرآن الكريم وصحيح السنة، ومع ذلك نجد القرآن لم يطاوع عبقرية الصحابة فيما نبغوا فيه من سؤال يسبق زمنهم ويفوق إمكانات عصرهم، وذلك حين سألوا عن الأهلة: لماذا يولد القمر هلالاً، ثم يستوى بدراً، ثم ينتهى محاقاً ؟ وتلك ظاهرة فلكية بحتة، لها علاقتها الخاصة بمنازل القمر ودورانه فى فلكه الذى يسبح فيه ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]

وشرح هذه الظاهرة الفلكية لا تؤمن عواقبه، بالنسبة لبداوة العقول فى عمومها، ونظراً لعدم توفر وسائل الكشوف الفلكية وعدم تهيؤ العصر لعمل المراصد أو التلسكوبات.. لذلك عدل عن الجواب المباشر وأجاب عن لازم السؤال وهو آثار الأهلة وأهميتها.. فقال تعالى: ﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]

إذ من الرحمة بالعباد أن يحدثوا على قدر عقولهم وأن يخاطبوا على قدر مداركهم واستعدادهم الذهنى.. ومن ثم وعد الله سبحانه وتعالى الناس بأن يكشف لهم مستقبلاً عن الحقائق الكونية التى أجملها القرآن فى كثير من آياته وسوره، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. وقال سبحانه: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٧]. بل إن القرآن الكريم ليخبر أن من أسباب تكذيب أولئك الذين كذبوا بالقرآن أنهم عجزوا عن الإحاطة بعلمه، كما أنهم عجلوا دون انتظار بيانه وتأويله، فقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. ومن ثم أكد لهم أن الزمان سيأتى بالحقائق التى تكشف عن مصداقيته، فقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [صـ: ٨٨]

لذلك لم يكن لرسول الله ﷺ أن يسبق الأوان ويقتحم حاجز الزمان، ولم يكن له بالتالى أن يفسر الآيات الكونية إلا بقدر، حتى لا يكون تفسيره لها بمثابة الولادة القيصرية قبل أوانها، تماماً كإجابته عبد الله بن سلام حين سأله "من أى شيء ينزع الولد إلى أبيه؟". فكان جوابه ﷺ "وأما الشبه فى الولد: فإن الرجل إذا اغشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له.. وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها".

وبالطبع لم يكن بوسعه ﷺ أن يجيب بكلام مفصل يشرح فيه عملية التكاثر مبيناً أن نطفة الرجل تحتوى على عامل الذكورة وعامل الأنوثة معاً، وأن أحدهما هو الذى ينتج عنه نوع الجنين....الخ (المدخل، ص ٢١٩).

ذاك يمجدني

أى ذاك يدفع عنى الشبهات. وما هى الشبهات التى يدفعها نبى الإسلام محمد ﷺ عن عيسى عليه السلام ؟؟

إنها خمس شبهات:

١. الإله المتجسد.
٢. البنوة الإلهية.
٣. الثالوث المقدس.
٤. الخطيئة الأصلية.
٥. الفداء (الصليب).

دحض الشبهات:

أولاً- شبهة الإله المتجسد.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ثانياً- شبهة البنوة الإلهية. يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]

ثالثاً- شبهة التثليث.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]

رابعاً- شبهة الخطيئة الأصلية.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥].

خامساً- شبهة الصلب.

يقول تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وفصول كثيرة فى التوراة والزبور والإنجيل.

وعن أشعياء وغيره من الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – غير ما ذكرنا. لكنا اقتصرنا على هذا القدر، لأن فيه كفاية، وهذه الفصول يقر بها حفاظ أهل الكتاب وليسوا ينكرون منها إلا اسم نبينا – صلوات الله عليه – ويتأولون النبوءات تأويلات ظاهرة الفساد.

ومن المعلوم أن النبى – صلى الله عليه وعلى آله – تلا عليهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[1] وتلا حكاية عن المسيح – صلى الله عليه: ﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2] وتلا: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] وتلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[4]

فلو لم تكن هذه الآيات من عند الله عز وجل، ولم يكن اسمه مكتوبا فى كتبهم، ولم يكن أحبارهم عالمين بذلك، لم يكن – صلى الله عليه – يورد عليهم ذلك ؛ لأنه لا يزيدهم إلا نفارا عنه، وتحققا بتقوله، حاشاه من ذلك.

فإن قيل: هذا الذى حكيتم من كتب الأنبياء – صلوات الله عليهم – صحيح، وهذه الصفات موجودة فى تلك الكتب، إلا أن الموصوف بها لم يجئ بعد بتة.

إن كل ما ذكر عن البارقليط له شواهد فى القرآن والسنة تقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه النبوءة، إذ هو الشاهد للمسيح، وهو المخبر بالغيوب، الذى لا نبى بعده، وقد ارتضى الله دينه إلى قيام الساعة ديناً.. (إبراهيم خليل احمد، محاضرات فى مقارنة الأديان، ص ١٢٢ بتصرف).

١ – [الأعراف: ١٥٧]

٢ – [الصف: ٦]

٣ – آل عمران ٧٠-٧١.

٤ – البقرة ١٤٦.

قيل له: أرأيتم أن جاء من تدعونه، ثم أنكره منكر. ما يكون برهانكم عليه ؟

فإن قيل: إذا جاء أتى بالمعجزات، فمهما قالوا فى ذلك فهو جوابنا.

ثم يقال لهم: إذا أتى من توجد فيه الأوصاف المذكورة فيجب أن نعلم أنه هو الذى بشرت به الأنبياء، صلوات الله عليه، لأنه لا يجوز أن يعرفنا نبى من الأنبياء، أنه يأتيكم رجل حاله كذا، وصفته كذا، فإذا أتاكم فافعلوا به كذا، من تصديق أو تكذيب ثم يأتينا رجل بتلك الصفة،ولا يكون هو مرادا بذلك الخبر، بل يكون المراد غيره، والمقصود سواه، لأنه لو كان ذلك كذلك كان ضربا من التلبيس، ويجب أن يمنع الله – عز وجل منه، وفى هذا إبطال هذا السؤال.

فإن قيل: بينوا أن تلك الأوصاف حاصلة لنبيكم – صلى الله عليه وعلى آله -. قيل له: ما جاء فى التوراة،جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبل فاران، " لا التباس فى أن المراد بقوله: "واستعلن من جبل فاران" هو ابتعاثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله – لأن جبال فاران، لا إشكال فى أنها جبال مكة، ولم تظهر عبادة الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وخلع الأصنام، والأنداد بمكة ظهور انتشر فى الآفاق، وتحمله الركبان إلا برسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وظهوره من ساعير لم يكن إلا بعيسى – صلى الله عليه –وفى ذلك ثبوت أن هذه البشارة كانت بشارة النبى – صلى الله عليه – لأنه لو جاز أن يقال ذلك فى موسى وعيسى –صلى الله عليهما – لجاز فى محمد – صلى الله عليه.

وأنت إذا تأملت الأوصاف التى ذكرناها وبيناها، وجدت جميعها فى رسول الله – صلى الله عليه – وصفا وصفا. فيتبين لك: أنه الموصوف بها. فإذا ثبت ذلك ثبت أنه المشير بها. لأن خلاف ذلك مما لا يجوز فى حكمة الله الحكيم – عز وجل.